

ان السعي وراء الموضة قضية اجتماعية خطيرة تواجه مجتمعاتنا في ظل ظروف اقتصادية واجتماعية متربدة، ولاسيما الشباب الذين يتزايد اهتمامهم بها ، وأصبحت تشغل حيزاً كبيراً في حياتهم . ذلك أن اتباع الموضة تجاوز البحث عن الظهور بشكل جميل ومقبول إلى ما أشبه بالهوس بآخر الصيحات والصراعات في مجال التجميل والملابس . ولا يختلف اثنان على أن الاهتمام بالموضة لا يخص جنس دون آخر ولا النساء دون الرجال ، وعلى الرغم من أن البعض يرى في اتباع الموضة مساوئ كثيرة منها إهار الوقت وتبذير الأموال وفسخ للشخصية بالتقليد الأعمى لآخرين، والدخول في حلقة مفرغة من خلال الركض وراء مجازة صيحات الموضة التي تتغير بشكل سريع جداً واستغلال المرأة للتسويق والبيع وضياع الهوية العربية والمميزات الخاصة للشخصية العربية وثقافتها وتراثها . فما هي الأسباب التي تقف وراء الهوس بالموضة؟ وما هي تأثيرات وانعكاسات هذه الظاهرة على حياة وشخصية الفرد؟ من هنا لا يتأثر بالموضة وبعضاً يدمّن عليها لدرجة قد يصبح من ضحاياها، وذلك يرجع للنفس البشرية التي ترقص للجمال وتعجب به . مواقف مختلفة لشريحة المجتمع استطاعنا آراءها، شباب هنا وهناك بين التقليد والاختيار منهم من صنفوا أنفسهم في خانة أصحاب الذوق الرفيع. ضحايا الموضة "سليمة" في عقدها الثاني تعمل في إطار العمل التواصلي لوكالة الاتصالات، شابة جميلة القوام، ترتدي ملابس ضيقة وقصيرة ذات تسريحة شعر مصففة. عندما سألناها عن الموضوع أجابـت قائلـة : « مظهري أساسـي ومهمـ جـداًـ بالـنـسـبـةـ لـيـ لـذـلـكـ لـاـ أـسـتـطـعـ أـمـنـ نـفـسـيـ مـنـ التـجـولـ فـيـ الـأـسـوـاقـ وـشـرـاءـ آخرـ صـيـحـاتـ المـوـضـةـ ،ـ هـذـاـ لـكـ يـكـونـ شـكـلـيـ مـوـاكـبـاـ لـاـخـرـ خـطـوـطـ المـوـضـةـ ».ـ وأـضـافـتـ :ـ «ـ إـذـاـ كـنـتـ أـنـيـقـةـ وـجـذـابـةـ سـأـتـرـكـ بـالـتـأـكـيدـ اـنـطـبـاعـاـ جـيدـاـ لـدـىـ الآـخـرـ وـهـذـاـ شـيـءـ مـهـمـ جـداـ عـلـىـ الـمـسـتـوىـ الـمـهـنـىـ وـالـشـخـصـىـ عـلـىـ السـوـاءـ ،ـ وـبـالـتـالـىـ فـإـنـ الـحـرـصـ عـلـىـ الـحـفـاظـ عـلـىـ شـكـلـيـ أـنـيـقـةـ بـمـوـاكـبـةـ لـمـوـضـةـ أـمـرـ مـهـمـ جـداـ فـيـ الـعـلـاقـاتـ الـاجـتـمـاعـيـةـ وـالـنـجـاحـ فـيـ الـحـيـاةـ ».ـ أـيـ أـنـ الـمـلـابـسـ أـصـبـحـتـ فـيـ ظـلـ هـذـاـ التـطـورـ السـرـعـيـ وـالـكـبـيرـ الـذـيـ يـعـرـفـ الـعـالـمـ لـغـةـ تـخـاطـبـ وـتـعـبـرـ عـنـ الـذـاتـ وـالـشـخـصـيـةـ وـالـانـتـمـاءـ .ـ هـذـاـ مـاـ أـكـدـهـ "ـعـمـانـ"ـ 24ـ سـنـةـ خـرـيجـ معـهـدـ التـكـنـوـلـوـجـيـاـ بـسـلاـ الـذـيـ أـبـدـىـ وـجـهـةـ نـظـرـهـ بـالـمـوـضـةـ اـنـطـلـاقـاـ مـنـ تـجـربـتـهـ الشـخـصـيـةـ قـائـلـاـ :ـ «ـ قـدـ أـكـوـنـ مـنـ النـاسـ الـذـينـ يـنـطـبـقـ عـلـىـ مـفـهـومـ "ـضـحـيـةـ الـمـوـضـةـ"ـ لـكـنـنـيـ أـظـنـ أـنـ أـغـلـبـ النـاسـ الـيـوـمـ فـيـ الـعـالـمـ أـجـمـعـ وـفـيـ عـالـمـنـاـ الـعـرـبـيـ أـيـضـاـ ضـحـيـةـ لـمـظـاهـرـ ذـلـكـ أـنـ الـحـكـمـ الـأـوـلـ عـلـىـ الشـخـصـ يـكـوـنـ يـكـوـنـ عـبـرـ مـظـهـرـ الـخـارـجـيـ وـبـالـتـالـىـ فـالـرـسـالـةـ الـأـوـلـىـ الـتـيـ يـتـلـقـاـهـ الشـخـصـ الـذـيـ أـتـعـاـمـلـ مـعـهـ يـكـوـنـ مـنـ خـلـالـ مـظـهـرـيـ وـمـلـابـسـيـ "ـ وـبـرـ مـوـقـفـهـ بـصـيـفـةـ الـمـذـكـرـ مـوـضـحـاـ :ـ "ـ أـنـ رـجـلـ وـمـنـ حـقـيـقـةـ أـنـ أـفـعـلـ أـيـ شـيـءـ وـلـاـ يـهـمـنـيـ أـيـ أـحـدـ لـأـنـ الـمـرـأـةـ هـيـ الـتـيـ يـنـبـغـيـ أـلـاـ تـلـزـمـ بـالـمـوـضـةـ .ـ الـرـكـضـ وـرـاءـ مـجـارـةـ صـيـحـاتـ الـمـوـضـةـ الـتـيـ تـتـغـيـرـ بـشـكـلـ سـرـعـيـ جـداـ أـصـبـحـ شـعـارـاـ عـنـ الـبـعـضـ الـمـوـضـةـ جـزـءـ لـاـ يـتـجـزـأـ مـنـ حـيـاتـيـ هـكـذـاـ بـدـأـتـ "ـأـسـمـاءـ"ـ 20ـ سـنـةـ فـيـ الـحـدـيـثـ عـنـ شـغـفـهـ فـيـ اـتـبـاعـ الـمـوـضـةـ ،ـ صـرـحـتـ :ـ "ـ لـيـسـ مـنـ السـهـلـ أـنـ لـأـتـبـاعـ الـمـوـضـةـ وـخـصـوصـاـ فـيـ ظـلـ هـذـاـ التـطـورـ الـكـبـيرـ وـالـضـغـطـ الـإـعـلـامـيـ الـهـائـلـ لـلـبـرـامـجـ الـتـلـفـيـزـيـونـيـةـ وـالـإـشـهـارـاتـ ،ـ وـمـنـ غـيـرـ هـذـاـ فـأـنـاـ أـرـغـبـ فـيـ أـتـبـاعـهـاـ مـثـلـ زـمـيـلـاتـيـ لـأـنـ الـمـوـضـةـ هـيـ مـحـورـ حـيـاتـنـاـ وـالـمـوـضـوـعـ الـذـيـ يـسـيـطـرـ عـلـىـ أـحـادـيـثـنـاـ كـمـاـ أـنـ أـغـلـبـ لـفـاءـاتـنـاـ تـكـوـنـ فـيـ الـأـسـوـاقـ لـلـلـاطـلـاعـ عـلـىـ أـحـدـ الـمـوـدـيـلـاتـ وـالـمـارـكـاتـ مـنـ أـجـلـ اـقـتـائـهـاـ .ـ غـايـةـ هـذـاـ الـهـوـسـ لـلـمـوـضـةـ تـحـقـيقـ رـغـبةـ الـشـرـاءـ دـوـنـ الـحـاجـةـ إـلـىـ الـاـرـتـدـاءـ مـعـ تـبـذـيرـ الـكـثـيرـ مـنـ الـمـالـ صـرـحـتـ "ـ هـاجـرـ"ـ :ـ "ـ أـنـاـ ضـحـيـةـ الـمـوـضـةـ الـتـيـ تـتـطـلـبـ مـنـيـ أـمـوـالـ كـثـيرـاـ لـشـرـاءـ مـلـابـسـ وـإـكـسـسوـارـاتـ لـاـ تـلـزـمـنـيـ بـدـوـنـ جـدـوـيـ فـيـ ظـلـ خـزانـةـ مـلـيـئـةـ بـكـثـرـةـ الـثـيـابـ وـتـنـوـعـهـاـ وـهـذـاـ مـنـ أـجـلـ الـحـفـاظـ عـلـىـ الـمـوـضـةـ الشـيـءـ الـذـيـ يـنـشـبـ الـكـثـيرـ مـنـ الـخـلـافـاتـ فـيـ أـسـرـتـيـ إـذـ تـقـولـ أـمـيـ "ـ اللـهـ يـهـدـيـكـ حـتـىـ تـسـالـيـ دـوـكـ الـحـوـابـ لـيـ عـنـدـكـ عـادـ شـرـيـ منـ جـدـيدـ "ـ بـمـعـنـيـ أـنـ أـرـتـدـيـ أـوـلـاـ مـاـ تـحـمـلـهـ خـزـانـيـ مـقـابـلـ شـرـاءـ الـمـلـابـسـ الـتـيـ تـرـتـدـيـهـاـ الـخـزانـةـ .ـ وـبـعـدـ مـنـ هـذـاـ تـقـولـ أـمـالـ 18ـ سـنـةـ "ـ أـضـطـرـ أـحـيـانـاـ لـأـعـمـلـ فـيـ وـقـتـ الـفـرـاغـ مـنـ أـجـلـ شـرـاءـ بـعـضـ الـتـوـيـشـيـاتـ الـتـيـ لـاـ يـسـتـطـعـ وـالـدـيـ اـقـتـائـهـاـ "ـ لـيـسـ مـسـأـلـةـ اـخـتـيـارـ مـطـلـقـةـ وـفـيـ مـسـأـلـةـ مـوـاكـبـةـ الـمـوـضـةـ يـجـدـ نـفـسـهـ مـجـبراـ ،ـ وـيـصـبـحـونـ مـجـبـرـينـ عـلـىـ التـكـيفـ بـمـاـ يـقـدـمـهـ الـمـصـمـمـونـ خـاصـةـ وـالـسـوقـ بـصـفـةـ عـامـةـ .ـ وـيـعـزـ رـأـيـهـ قـائـلـاـ :ـ "ـ مـثـلاـ إـذـاـ أـرـدـنـاـ أـنـ نـرـتـدـيـ مـلـابـسـ السـبـعينـاتـ الـآنـ فـإـنـاـ حـتـمـاـ لـنـ نـجـدـ ذـلـكـ ،ـ وـبـالـتـالـىـ السـوقـ هوـ مـنـ يـحدـدـ ،ـ وـهـذـاـ فـيـ حـدـ ذاتـهـ تـسـوـيـقـ لـمـوـضـةـ مـاـ ،ـ إـذـنـ هـنـاـ لـاـ تـبـقـيـ مـسـأـلـةـ الـاـخـتـيـارـ ،ـ لـكـنـ هـذـاـ لـاـ يـمـنـعـ مـنـ أـنـ نـنـقـادـ كـلـيـاـ تـحـتـ تـأـثـيرـ هـذـهـ الـمـوـضـةـ الـتـيـ هـيـ بـالـدـرـجـةـ الـأـوـلـىـ صـنـاعـةـ .ـ وـعـنـ رـدـهـ بـخـصـوصـ اـتـبـاعـ الـمـوـضـةـ يـقـولـ :ـ "ـ أـنـاـ أـتـبـاعـ الـمـوـضـةـ لـكـنـ أـحـيـانـاـ حـيـنـاـ تـرـوـقـ لـيـ بـعـضـ الـأـشـيـاءـ الـتـيـ تـبـدوـ بـالـفـعـلـ جـمـيـلـةـ وـذـاتـ ذـوقـ ،ـ وـلـاسـيـماـ أـنـهـاـ كـامـرـأـةـ تـنـأـيـ بـمـاـ هـوـ جـدـيدـ خـصـوصـاـ إـذـ كـانـ هـنـاكـ إـشـهـارـ .ـ وـفـيـ نـفـسـ السـيـاقـ تـرـىـ "ـ أـمـيـمـةـ"ـ طـالـبـةـ عـلـىـ الـاجـتـمـاعـ بـجـامـعـةـ الـقـاضـيـ عـيـاضـ أـنـ اـتـبـاعـ الـمـوـضـةـ أـمـرـ لـاـ بـأـسـ بـهـ شـرـيـطـةـ أـلـاـ يـكـوـنـ تـقـلـيدـ أـعـمـىـ وـتـقـولـ :ـ "ـ أـنـاـ أـسـاـيـرـ آـخـرـ صـيـحـاتـ الـمـلـابـسـ لـكـنـ لـاـ أـرـتـدـيـ إـلـاـ مـاـ يـنـاسـبـنـيـ لـأـنـهـ إـذـ اـنـسـقـتـ وـرـاءـهـ فـرـيـمـاـ سـأـخـرـجـ عـارـيـةـ إـلـىـ الشـارـعـ (ـ تـضـحـكـ)ـ .ـ مـشـيـرـةـ إـلـىـ أـنـ :ـ "ـ هـذـهـ الـمـوـضـةـ تـعـرـفـ ثـوـرـةـ مـسـتـمـرـةـ بـمـعـنـيـ "ـ الـزـوـاقـ"ـ فـيـ الـمـعـنـيـ الـعـامـيـ ،ـ بـلـ فـيـ كـلـ يـوـمـ ،ـ نـرـىـ أـشـكـالـاـ جـدـيـدةـ قـدـ تـبـدوـ غـرـيـبـةـ وـخـارـجـةـ عـنـ الـمـأـلـوـفـ فـهـلـ يـصـحـ لـنـاـ اـرـتـدـأـهـاـ؟ـ"ـ فـتـجـيـبـ عـنـ سـؤـالـهـاـ :ـ "ـ لـاـ يـصـحـ بـتـاتـاـ بـشـرـ وـلـيـسـ قـطـيـعـ لـنـتـبـعـ كـلـ مـاـ ظـهـرـ

في السوق ». «أن يكون مظهري لائقاً وغير مخالف لتقاليدنا العربية» هذا ما ذكرته "إكرام" مؤكدة فكرة صديقتها "أميمة" وأضافت : « رغم أنني ألبس على الموضة لكنني مع ذلك لا أظن أن كل شيء فيها يناسبني لذلك أحرص على اتباعها مع اختيار ما يناسبني ». يرى بعض أخصائيو علم النفس والاجتماع أن الشباب بصفة عامة والراهقين بالخصوص يبحثون عن التفرد والبروز وجلب الانتباه والحصول على القبول الاجتماعي، وأن الاهتمام بالمظاهر الخارجي هو شكل من أشكال التعبير والتواصل يعكس جوانب من شخصية الفرد، كما أن هذه الفئة، بسبب عدم اكتمال نضجها الفكري، عرضة أكثر من غيرها للتأثيرات الخارجية وخاصة من وسائل الإعلام المتنوعة مثل القنوات التلفزيونية والإنترنت وغيرها ، وبالتالي ليس من الغريب أن تكون ضحايا الموضة أغلبهم من المراهقين والشباب. وهذا ما خلص إليه الباحث عبد الرحيم العطري في كتابه "سوسيولوجيا الشباب المغربي" ، فهذه الفئة هي أكثر استسلاماً للموضة، إنها وجود خاص في الزمان والمكان. إضافة أنه لا يمكن اختصار الموضة في اللباس فقط، بل تتعذر ذلك، ويرجع الأستاذ العطري هوس الموضة إلى أسباب نفسية وأخرى اجتماعية، فالشباب طاقة صراع ضد الشيوخوخة، مما يجعل الشاب يؤمن أن المستقبل أمامه لا خلفه، و مجده في المستقبل لا في الماضي، فنصل إلى حقيقة وهي تفضيل الموضة على التراث . وما يزيد من حدة الأمر إنتاج هذه الموضة، في ظل هذه النماذج السائدة، هي نابعة من ثقافة غربية، و البحث عن التقليد، وبخصوص هذه الجدلية في مسألة البحث عن التقليد وطمس الهوية المغربية، يجد السيد محمد البرودي طالب باحث في علم النفس أن الموضة في اللباس هي تعبر عن حس فردي ووعي جمعي بضرورة الإيمان بالحرفيات الفردية لدى الأشخاص. وبطبيعة الحال فإن المجتمع المغربي بدوره يساير هذا التطور الثقافي والاجتماعي . الخ ، لكن بالعكس من ذلك، يرى أن الموضة سواء عند الرجال أو النساء هي تعبر عن شيء له قيمة ودلالة رمزية عند هذا الشخص الذي يساير هذه الموضة، ويرى الأستاذ والباحث توفيق الراوي أن شباب اليوم يعيش في زمن سريع و متقلب، و بفعل الإقبال على وسائل الإعلام بجميع تلاوينها **يجد الشباب أنفسهم أمام مجموعة من الأنماط المختلفة المرتبطة باللباس والأطعمة المتناولة**، و كذلك في اللغة المستعملة، هنا تتحدث عن الموضة كالنموذج الذي يتبعه الشباب من أجل التعبير للمجتمع أنهم يعيشون حادثتهم سواء باللباس أو تسريحات الشعر أو الماركات التجارية أو اللغات المستعملة. إذ أصبحت الموضة هم الشباب، وأصبح نوع من التواصل، فالبعض يبحث عن التعبير عن ذاته بطريقة يرى أنها عصرية كالرقص في الشوارع مثلاً لا حصر. البعض يقول أن الموضة هي تقليد للغرب، وهناك من يرى أنها طريقة للتعبير عن الموقف من المجتمع بالإقبال على أشكال قد تبدو غريبة عن مجتمع معين. ونستنتج مما سبق أن من الشباب من يقبل على الموضة عن افتتان و إيمانه أنه حر سوف يعيش شبابه كما يحلو له. وهناك من يراها تقليداً والإقبال على منتوج غريب بعد عن الثقافة المحلية. و لا يجب إغفال وسائل الإعلام (المجلات التلفاز الأنترنيت). لما لها من دور في نقل هذه النماذج و الصيحات و تعمل كذلك على صناعة الأذواق و النماذج و هذا خطير، فبمتوسط الاستهلاك تروج للشباب إذا أردت أن تكون من شباب اليوم عليك أن ترتدي هذا و تفعل هكذا. من الصعب الوصول في هذا الموضوع إلى استنتاجات جازمة ذلك أن الأمر ذو أوجه متعددة قد تصل إلى حد التناقض فلا يمكن لأحد أن ينكر أهمية الاعتناء بالمظاهر الخارجية في التواصل الاجتماعي ، ولا يمكن أيضاً الجزم بأن اللباس مجرد شكل لا يعكس باطن الإنسان فهناك نظريات نفسية تؤكد أن اختيار ملابس وألوان معينة يعكس ، شخصيات مختلفة ورغم اختلاف وتعدد وجهات النظر فيما يتعلق بمدى الاهتمام بالموضة واتباعها ، فإن ما يتفق عليه الجميع